مجلة العدوي للسانيات العرفية وتعليمية اللغات
Issn: 2773/ 3300
http://www.asjp.cirect.dz/en/presentation Revue/804
ASJP Algerian Scientific Journal Platform
المجلد:01 العدد: 01(2021) ص86 / 94

الأسس العرفانية في الفكر اللساني لنعوم تشومسكي

The cognitive foundations of Noam Chomsky's linguistic thought

أد، جميلة روقاب*
أد، محمد حاج هنّي
جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ، الجزائر
d.rougab@univ-chlef.dz
m.hadjhenni@univ-chlef.dz

معلومات المقال
تاريخ الارسال: 2021/ 4/2
تاريخ القبول: 21 /2021/4
الكلمات المفتاحية:
- ✓ العرفانية
- ✓ نعوم تشومسكي
- ✓ الفكر اللساني
- ✓ النظرية التوليدية
- ✓ ماوراء لغوي

الملخص:
من بين القضايا الفلسفية واللغوية التي شغلت حيّزا كبيرا من الاهتمام لدى تشومسكي هي العقلانية، بفضل تأثيره الواسع أصبح جيل من اللسانيّن العرفانيين يدركون السلسلة الهائلة من الظواهر التي تشكل اللاوعي العرفاني، ولعلّ قوام التحليل العرفاني هو تسليط الضوء على المبادئ الدلالية الطبيعية (اللاصناعية بما فيها المنطقية، النحوية، البلاغية وغيرها) وبالإمكان أن ننظر في التحليل العرفاني باعتباره قائما على الإدراك السابق للتقسيمات البلاغية أو النحوية ذات البعد الما وراء لغوي والسؤال المطروح هو: كيف استطاعت النظرية التوليدية التحويلية أن تمدّنا بنظرية دلالية كونية قادرة على وضع قائمة بالمفاهيم الممكنة؟ وهل نجح النحو التوليدي في ضبط الوجوه اللسانية الكونية على المستويات الثلاثة: الصوتي، التركيبي والدلالي؟

Article info
Received
2/ 4 / 2021
Accepted
21/ 4 / 2021

Abstract :
Among the philosophical and linguistic issues that have occupied much interest in Chomsky is rationality, thanks to its broad influence, a generation of cognitive linguists are aware of the huge series of phenomena that constitute the cognitive unconscious and perhaps the strength of cognitive analysis is to highlight natural semantic principles (non-

* المؤلف المرسل.

industrial, including logical, grammatical, rhetorical, etc.) and we can consider cognitive analysis as based on the pre-definition of rhetorical or grammatical divisions with metalinguistics. The question is: how could transformative obstetrical theory provide us with a cosmic semantic theory capable of developing a list of possible concepts? Has obstetrical grammar been able to adjust cosmic linguistic faces on all three levels: acoustic, synthetic and semantic ?

:Keywords
- ✓ *.cognitive*
- ✓ *Noam Chomsky*
- ✓ *Linguistic thought*
- ✓ *Generative theory*
- ✓ *Metalinguistic*

مقدمة:

عند الاطلاع على أهمّ نتاجات اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي، يتضح الميدان الرئيسي الذي شغل حيّزا كبيرا من حياته، فتناوله بالدراسة والتحليل ألا هو اللغة، حيث اتخذها ميدانا ينطلق منه، ليضع الأسس النحوية التي قعّد لها؛ وندرك كيف كان يُعمِل فكره بشكل دائم في ميادين مختلفة، ومتعددّة تتجاوز إطار اللغة لتشمل كافّة النشاطات التواصليّة، والإنتاجيّة الفكرية، والعلمية، والفلسفية، فهو لا ينفك يعتمد المقارنة بين النظام النحوي اللغوي، والعلوم والمعارف الأخرى عند الإنسان من: رياضيات، وفيزياء، وبيولوجيا، وعلم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع...وغيرها من العلوم، ولم يقف تشومسكي عند هذا الحدّ؛ بل تعدّاه إلى مستوى التواصل اللغوي، ليقيم موازنة بين التواصل البشري والتواصل عند بعض فئات الحيوان، إذ تبيّن مدى تعاطيه لتلك العلوم والمعارف بتياراتها الفكرية واتجاهاتها الفلسفية، وكيف استطاع أن يتكيّف معها جميعا في دراسة اللسانيات والنحو.

كما سعى من خلال الأصول المنطقية التي افترضها حلّ معضلتين هما:شمولية أو كلية هذه الأصول الموجودة في سائر اللغات الإنسانية، ونجاح الطفل في تكوين قواعد لغته الأمّ وبنائها بمحاكاة الكلام الذي يستمع إليه، وبالرغم من أنّه قد وضع نفسه مع العقلانيين إلاّ أنّه لم يشأ الخضوع لذلك التراث الفلسفي المتعارض حول العقل والجسم، لذا فهو يحدد موقفه من قضية معرفة اللغة على أساس أنّ إرهاصات هذه المعرفة عند الطفل وإن كانت فطرية إلاّ أنّها تحتاج إلى شروط بيئية معينة أثناء فترة النضج.

فبفضل تأثير نعوم تشومسكي الواسع أصبح جيل من اللسانيّين العرفانيّين يدركون السلسلة الهائلة من الظواهر التي تشكل اللاوعي العرفاني، ولعلّ قوام التحليل العرفاني هو تسليط الضوء على المبادئ الدلالية الطبيعية (اللاصناعية بما فيها المنطقية، النحوية، البلاغية وغيرها) وبالإمكان أن ننظر في التحليل العرفاني باعتباره قائما على الإدراك السابق للتقسيمات البلاغية أو النحوية ذات البعد الما وراء لغوي.

كيف استطاعت النظرية التوليدية أن تمدّنا بنظرية دلالية كونية قادرة على وضع قائمة بالمفاهيم الممكنة؟ وهل نجح النحو التوليدي في ضبط الوجوه اللسانية الكونية على المستويات الثلاثة: الصوتي، التركيبي والدلالي؟

01-فلسفة تشومسكي واللسانيات العرفانيّة:

من بين القضايا الفلسفية الفكرية التي شغلت حيّزا كبيرا من الاهتمام لدى تشومسكي هي فكرة "العقلانية" أي: هل المبادئ والأصول المنطقية للغة الإنسانية فطرية أم عقلانية ؟ إذ يخيّل إلينا أنّ فكرة العقلانية هي الفكرة

الوحيدة الممكن الوقوف حيالها، وهي فكرة ليست على هذه الدّرجة من القوّة التي تصوّرها عالم اللسانيات تشومسكي، إذ هي تقوم على دعوى وجود أصول ومبادئ منطقيّة كليّة لبناء الجمل في اللغات الطبيعيّة.

وفي هذا الصدد قال تشومسكي: "إنّ اللّغة المصطنعة تعتدى عند بنائها على حرمة المبادئ والأصول الكلّية، لذا لا يمكن تعلّمها البتة أو على الأقل لا يمكن تعلّمها، بسهولة ويسر كما يتعلّم الطفل العادي اللغة الإنسانية"[1]، وهذا الفرض لا يمكن إخضاعه للتحقيق التجريبي؛ إذ من المحال علميّا تربية وتنشئة طفل صغير مذ ولادته دون حصوله على أيّ معرفة بأيّة لغة طبيعيّة البتة، ومن ثمة يتعرّض لسماع هذه اللغة الاصطناعية دون أيّ تأثير من اللغات الطبيعيّة، ثمّ كيف يمكن القيام بمثل هذه التجربة النفسيّة أو المضيّ فيها، وهي لن تقدّم أو تؤخر في الموضوع المراد إثباته.

ولعل هذا الزعم التشومسكي من فطريّة هذه المبادئ والأصول المنطقية له تأويل وتفسير آخر، فوجود هذه المبادئ والأصول في سائر اللغات جعلها تنحدر من أصل مشترك واحد جمعها فيما مضى، ثمّ احتفظت كلّ لغة من اللغات الإنسانيّة ببعض هذه الأصول أو كلّها.

لمزيد من التوسّع حول هذه الفكرة يكفي الإطلاع على مؤلفه[2]؛ إذ سعى من خلال الأصول الفطرية التي افترضها حلّ معضلتين في ذات الآن، وهما:

1– كليّة وشمول هذه الأصول إذا كانت موجودة أصلا كي تكون عامّة وشاملة بعد ذلك.

2– نجاح الطفل في تكوين وبناء قواعد لغته الوطنيّة على هدى من الكلام الذي يستمع إليه.

اهتمامه بالشقّ الثاني أكثر من الأوّل لذا كان يقول دوما: "إنّ اللّغة تكتشف في كل مرّة تتعلم فيها والمشكلة العمليّة التي تواجه نظريّة التعلّم هي كيف يتمّ هذا الكشف فيما يتّصل بالقواعد النّحويّة؟[3].

سواء أكانت اللّغات الإنسانيّة الموجودة المنحدرة من أصل واحد غير معروف أم لا (كالسّنسكريتيّة) فإنّه بلا شك مواجهة الفرض يبدو من المستحيل إثباته، وإن كان من المحتمل حدوثه.

ولأنّ اللّسانيّات تعدّ اليوم علما تجريبيا قائما بذاته تسعى لبناء نظريّات حول تركيب اللغة الإنسانيّة فمن واجب اللغويين أن يتعاونوا في إطار دراسة هذه الأصول والمبادئ المنطقيّة الكليّة بحيث يمكن التحقّق من وجودها في كلّ اللغات أو بعضها.

ويبدو أنّ تشومسكي كان محقا في أنّ تنوّع واختلاف طرق التركيب في اللغات الإنسانيّة ظاهرة غير غريبة كما ادّعى ذلك البنيويّون (Les Structuralistes) بل على العكس لأنّ الحاجة لمثل تلك التفسيرية الكاملة للغات الإنسانيّة ما تزال قائمة لليوم .

وهذا ما يجعل معظم الدراسات اللغويّة الحديثة متأثّرة في كثير من جوانبها تأثيرا مباشرا بأعماله، وهو ما يعطي دفعة قويّة وتأييدا واسعا لهؤلاء الذين يشايعون فكرة الأصول النّحويّة الكليّة التي تحكم اللغات المختلفة، لكنّ النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسات حتى اليوم ما تزال نتائج غير نهائيّة، ولابدّ أن تعني ذلك حقّا بخاصّة عند استخدام الدليل اللغوي في المناقشات الفلسفية.

ومما هو متعارف عليه في الدراسات المقارنة، أنّ الاتجاهات الفلسفيّة- المتصارعة قديما- قد فقدت كثيرا من حدّتها، ومثال ذلك: العقلانيّة في مقابل التجريبيّة، والغريزة مقابل التعلّم، والعقل مقابل الجسم، والوراثة مقابل

البيئة، وهكذا حيث توجد نظائر لذلك في الدّراسات المعاصرة حول المفارقة بين سلوك الإنسان، والحيوان التي ترى أنّ السلوك الذي يوصف– عادة- بأنّه سلوك غريزيّ يحتاج إلى شروط بيئيّة يجب توافرها أثناء فترة النضج بحيث يصبح من الصعب أن ترجّح هل هو سلوك فطري أم مكتسب عن طريق التجربة والتعلّم ؟

يعني هذا أنّ الغريزة والبيئة كلاهما ضروريّ وأنّ إحداهما لا يستغني عن الأخرى، وبالرّغم من أنّه يضع نفسه مع العقلانيّين، إلاّ أنّه لا يريد الخضوع لهذا التراث الفلسفي المتعارض حول العقل والجسم، لذا فهو يحدد موقفه من قضية معرفة اللغة على أساس أن إرهاصات هذه المعرفة عند الطفل- وإن كانت فطرية- إلاّ أنها تحتاج إلى شروط بيئيّة معيّنة أثناء فترة النضج.

ذلكم ما أسماه العلماء فرضا بديلا للفرض التشومسكي، وهو أن معرفة الأصول الكليّة والمنطقية للّغة ليست فطرية كليّة، وإنّما هناك عامل آخر تمثّل في البيئة الصالحة الّتي تتفاعل مع هذه الأخيرة، بحيث تؤدي في الختام إلى تكوين القدرة اللّغوية.

وهو فرض عقلي لأنّه يتعارض مع اتجاه المذهب التجريبي المتشدّد الذي لم يبق من أنصاره إلاّ القليل، لأنّ كثيرا من علماء النّفس، والفلاسفة يسلمون بأنّ بعض الملكات العقلية يختصّ بها الإنسان وحده دون بقيّة الكائنات، ولا يمكن تحديد هذه العوامل أو التعرّف عليها إلاّ من خلال البيئة والبيولوجيا معا.

يفضّل البعض منهم ألاّ تستعمل عبارة ملكة عقليّة (faculté mental) في هذا المقام، ولابدّ من الاعتراف بعدم وجود أيّ دليل يفضله من يطلقون على أنفسهم اسم التجريبيّين، يوضح أو يثبت أنّ الفرض الهزيل الذي يذهبون إليه فرض صحيح وليس معنى هذا النقد لفرض تشومسكي بلا معنى أو فرض فارغ فما ذهب إليه "تشومسكي" يحتاج إلى دليل حاسم من حيث اعتماده على النظريّة العقليّة، ويكفيه فخرا أنّه أثبت أنّ القدرة على التّكلّم بلغة ما تدلّ على أنّ المتكلّم فعلا يملك سواء بالفطرة؛ أو بالتعلّم عددا من القواعد التحويليّة الدقيقة قادرة على العمل على إنتاج الجمل وصياغتها، وتحليلها ومن ثمّ يستطيع الاحتفاظ بالتراكيب العقليّة المجرّدة في ذهنه.

ولاشكّ أيضا في أنّ "تشومسكي" كان محقّا عندما تحدّى الرّأي القائل: بأنّ العقل ليس إلاّ عضوا بسيط التركيب أكثر من أيّ عضو آخر من أعضاء الجسم، وأنّ الفروض البسيطة تكون كافية لتفسير الظّواهر التي توضع من أجلها، وهو يتنكر للمبدأ الأساسي لديكارت حول كون العقل واللغة واعيين كليّا[4] حيث يشفع لتشومسكي إدخاله فكرة اللاوعي العرفاني في العلم العرفاني ذلك ما طبقه في النحو.

وتأسيسا على ما سبق ذكره أصبح الجيل من اللسانيّين العرفانيّين عارفين بالسلسلة الهائلة من الظواهر التي تشكل اللاوعي العرفانيّ، ولعل قوام التّحليل العرفاني هو تسليط الضوء على المبادئ الدلالية الطبيعية (لا الصناعية: المنطقية– النحوية– البلاغية ...)[5] في الإمكان أن ننظر في التحليل العرفانيّ باعتباره قائما على الإدراك السابق للتقسيمات البلاغية أو النحوية ذات البعد الميتالغوي.

02-نقد لنظريّة النحو التحويلي :

وجّهت لنظرية النحو التوليدي عدّة انتقادات، ومن أبرزها نقد ماتيوس (Mathews)، لهذه النظريّة في مؤلفه الموسوم بـ: « Review of Chomsky s Aspects of The Theory of Syntax in journal of Linguistics »

ليكن معلوما إذن أنّ التفرقة التي وضعها تشو مسكي بين القدرة و الأداء جعلته أحيانا يصف بعض العوامل على أنّها من الأداء، بينما هي تدخل في إطار القدرة، فهل يرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة المادّة اللّسانيّة نفسها أم يرجع إلى اختلاف الفكرة والمصطلحات؟

وإليك المثال التالي فيما يتعلّق بالفرق بين القدرة والأداء يقول تشومسكي: "إنّ النّظريّة اللّغويّة تهتمّ- أوّلا- بالمتكلم المستمع المثالي في أيّ مجتمع متكامل كامل التجانس حيث يعرف هذا المتكلم المستمع لغة ذلك المجتمع معرفة تامّة دون أن يتأثّر بأيّ ظواهر أخرى نحو: قصور الذاكرة ، أو الحيرة، أو تشتت الانتباه أو الأخطاء[6]....الخ " وذلك عندما يطبق معرفته بالنظام اللّغوي في صورة أداء فعلي.

وماهو جدير بالذكر، أنّ تشو مسكي قد وظّف مصطلح: الأداء ليدلّ على كلّ شيء لا يقع في إطار فكرة القدرة من حيث هي فكرة مثاليّة ومحددّة نظريا، هو ما لم يقره الكثير من الباحثين، وكان من الأفضل أن تكون فكرة الأداء اللّغوي مقصورة على إنتاج وتفسير الجمل في ظروف معيّنة من الاستعمال اللّغوي، أمّا فكرة المثاليّة في المجتمع اللّغوي الكامل المتجانس فهذا ما لا يحقق ذلك فعلا، أمّا مفهومه للّغة على أساس أنّها عبارة عن نظام من الجمل، فلابدّ من وضع حدود أخرى لها غير مصطلح الأداء غير أنّ ذلك لا يترتب عليه اصطلاحيّا أنّ تصوّره للمثالية أمر شاذ؛أو عمل غير مشروع؛ فتحديد الفروق الاصطلاحية بين الأداء في ظروف معيّنة، والأداء المثالي يقع على عاتق اللسانيّين من حيث الفروق الأسلوبيّة واللّهجيّة بما لها من صلة العوامل الاجتماعية والسياقيّة، مجال هذا كلّه هو علم اللّغة الاجتماعي أو ما يسمّى باللّسانيات الاجتماعية .

في هذا يقال عن الطفل الذي يستطيع أن ينطق بأيّ عدد من الجمل؛ أو بجميع الجمل الصحيحة نحويّا قد يصبح وحشا اجتماعيا[7]، وهذا حقّ لا يستطيع إنكار الزعم التشومسكي، وإلاّ أنكر الآثار الاجتماعية للاختلافات اللّهجيّة والأسلوبيّة، يبدو أنّه قد غالى كثيرا حين نعت البراءة بالوحش فهل يعقل ذلك؟

ومع ذلك فهناك العديد من وجهات النظر المختلفة في هذا الصدد، فبينما يرى بعض اللسانيّين ضرورة احترام الاختلاف اللّهجي، والأسلوبي يرى تشو مسكي أنّ دراسة الخصائص المميّزة للّغة الإنسانيّة يمكن أن تتمّ بغضّ النظر عن الاختلافات الاجتماعية والسياقيّة.

ولعل هذا ما جعل بعضهم –ولا أظنّ أنّ تشو مسكي منهم – يطبقون بعض القواعد النحويّة على مادة لغويّة تشكّ في صحّتها من حيث الاختلاف الأسلوبي واللّهجي، ولكنّهم عندما يواجهون بذلك يلجئون إلى نوع من المناورة لتبرير ذلك معناه: بأيّ اللّهجات نبدأ الدراسة بلهجتي؟ أم بلهجة غيرنا؟

ومعنى هذا أنّ اهتمامهم منصبّ على تحقيق المادّة اللّغويّة، دون توفر المبادئ المثاليّة في ذاتها، وهو موقف خاطئ وغير صحيح كان لابدّ من تسيير إلى نقل الدراسة إلى اللّسانيّات الاجتماعية لكي تحقق أهدافها -اللغويّة- وتأخذ بما تراه من الجوانب الإيجابيّة لمثاليته، فلعلّ من مزايا اللسانيات الاجتماعية أنّها تجعل الإنسان لا يغفل عن كون اللغة ظاهرة اجتماعيّة ، فقد يؤدي إفراط بعض اللسانيين في الشكلنة، والترييض، والحوسبة، واعتماد المعادلات إلى إخراج اللغة من حيّز التواصل الاجتماعي إلى مجال الترميز الرياضي[8] .

والواقع أنّ كلّ اتجاه من هذه الاتجاهات المختلفة يحتوي على قدر من العقلانيّة والمثاليّة شأنه في ذلك شأن جميع العلوم التجريبيّة المختلفة، ولكن لكلّ منها وجهة نظر صحيحة، كما لها حقّ في الوجود وهذا أمر يتّصل أكثر ما يتصل بالاختلاف حول المصطلح والأفكار.

والملاحظ أنّ هناك العديد من التعديلات التي طرأت على النظريّة التوليديّة، كما اتضح ذلك عند التشومسكييّن، ومن جاء بعده، ويرى أنّ هذه الاختلافات حول النظريّة إن هي إلاّ اختلافات محليّة ؛أي ترتبط باختلافات البيئات ولكن لا نعلم مدى صحة ما الزعم؛ لأنّه من الصعوبة تبيان نجاعة نظامين نحويّين قائمين على نظريّة واحدة .

ولكن إذا استطاع كلّ نظام منهما أن يولّد عددا من الجمل ترجع جميعها إلى منهج وصفيّ واحد عند دراسة تركيبها حينئذ نقول أنّ النظامين متعادلين، غير أنّ كثيرا من اللسانييّن قد يختلفون حول مفهوم الصورة المنطقيّة لتركيب الجملة؛ ومعنى هذا أنّه إذا لم يتفق هؤلاء حول قضايا المصطلحات أو الاختلافات المحليّة، من خلال معناها حدودها فإنّ كلّ هذا لن يؤدّي إلى الثمرة المرجوّة ولعل بعض المناقشات التي دارت بين تشومسكي وبعض اللّسانيين الذين يفضّلون صورا وأشكالا أخرى من النحو التوليدي تحمل هذا الطابع من الاختلافات حول المفاهيم والمصطلحات، ويتجلّى ذلك في اختلافهم معه في بعض القضايا الأخرى، ناهيك عن المعارضين[9] الذين لهم انتقادات لنظريّة النحو التوليدي ذاتها.

ولهذا لابدّ من مجيء يوم تهدم فيه نظريّة تشو مسكي على أيديهم؛ لأنّهم يرونها غير موائمة لدراسة ووصف اللّغات الإنسانيّة عامة، ولكنّ الاعتقاد السائد وسط المحيط اللّغوي أنّ العديد منهم تواضعوا على أنّ محاولة تشو مسكي إذا قُدر لها يوما ما أن تصبح غير صالحة، فإنّها تبقى محاولة زادت من فهمنا وإدراكنا للغة بما قدمته من أفكار وآراء، ومن هنا فإنّ الثورة التشومسكيّة لا يمكن أن تكون إلاّ ثورة ناجحة بما قدمته وحققّته تحوّلات في مختلف مراحل تطوّرها: النظرية النموذجية، النظرية النموذجية الموسعة...إلخ "البرنامج الأدنى"[10]، ثمّ إنّ فترة الثمانينات والتسعينات قد أعادت نسج العلاقات بشكل غير مألوف بين كلّ من النحو والبلاغة وحتّى اللسانيات التداولية، دون إغفال مظلة العلوم المعرفية التي تشمل اللسانيات، وعلم النفس المعرفي، والمعالجة الآلية للغة، والذكاء الاصطناعي، والمعاجم الحاسوبيّة وغيرها، وهنا يطرح السؤال التالي: كيف أصبحت يا ترى العلاقة بين مستويات التحليل اللسانيّ اليوم؟

لقد كانت النظريات التي قدمها اللغوي الأمريكي في الدّرس الصوتي مميّزة، إلاّ أنّ النظرية التوليدية يجب أن تمدنا بنظرية دلاليّة كونيّة قادرة على وضع قائمة بالمفاهيم الممكنة، كما تتطلب وجود أصل كوني يكون نسخة أصليّة للكشف عن تولّد الخصائص الدلالية، وعلى النحو التوليدي أن يضبط الوجوه اللسانية الكونية على المستويات الثلاثة :الصوتية والدلالية والتركيبية، وفي الأخير لا يمكن إنكار المجهودات التي قدمها تشومسكي في الحقل الصوتي.

03- نقد النظريّة التشومسكيّة (نقد فليمور ونقد ماتيوس):

رأى "جون ليونز"صاحب مؤلف نظرية تشومسكي اللغوية، أنّه يوافق آراء تشومسكي في كثير من القضايا، إلاّ أنّه ظنّ بأنّ هناك بعض المسائل والقضايا التي بالغ فيها كثيرا، وقد أعرب أنّ الرجل في دراسته وأبحاثه العظيمة حول بناء نظريّة نحويّة هي التي جعلته يتميّز عن غيره وأعطته أصالة؛ بل لعل ما قدّمه في هذا الميدان من ميادين

الدراسة العلميّة للغة هو إسهام كبير دون أدنى شكّ، علما أنّه وسّع آفاق ما يعرف باسم: اللسانيات الرياضية(Mathématique linguistes) وفتح بهذا ميدانا جديدا في الدرس اللغوي لا يهمّ (الألسنيّن) فحسب، بل حتّى المناطقة وعلماء الرياضيات أيضا.

أ-اعتراض فيلمور(Fillmore):

وإذا كان بعض ناقديه هم مجرّد حاقدين أو مظللّين نحو فيلمور[11] الذي نشر في عام 1968م بحثا بعنوان:حالة الحالة(The Case for Case) قال فيه: "أنّ التحليل النحوي الحقيقي للجملة هو ذلك التحليل الذي يكشف بوضوح عن مكوّنات كلّ جملة؛ أي يكشف عمّا أسماه الفاعل:(Agent) والأداة:(instrument) والمكان(Place)"[12] وأنّ حالة كمصطلح case) ما هو إلاّ توسيع وتعميم لذلك المصطلح التقليدي –إن صحّ القول –الذي كان يدلّ في بعض اللّغات على صيغ تخصّ بعض الأسماء التي تتخذ مواضيع مختلفة في سياق الجملة نحو(الفاعلية: الرفع، المفعولية: النصب والإضافة بالجر وهكذا.

ففلومير صاحب نظرية الحالة النحوية ادّعى بدوره أنّ أعمال تشو مسكي إن لم نقل بعضها، وبخاصّة في النحو التحويلي ليست لها صلة مباشرة بالدراسة الوصفيّة لتلك اللّغات الإنسانية، إلاّ أنّ ذلك لم يحل دون أن تحظى أبحاثه وأعماله بتقدير المناطقة وعلماء الرياضيات الذين يهتمّون كلّ الاهتمام ببنية ودراسة النظم المنطقيّة (Formal Systems)في ذاتها من أجل تجاربهم التطبيقيّة أمثال: سكينر(B,F, Skinner) صاحب كتاب السلوك اللغوي وجورج ميلر(George Miller) عالم النفس في بحثه:اللغة ذات الحالة المحدودة (finit state language) دليل علم النفس الرياضي (Hand Book of Mathematical).

ولكن مما لا يحسن السكوت عليه، أنّ الأنموذج الذي وضعه تشومسكي للنحو التحويلي قد وُضع وصُمّم من أجل تحليل ودراسة اللّغات الإنسانية الطبيعيّة، وأنّ هذا الأنموذج قد استخدم بقدر كبير من النجاح والتوفيق بفعل النتائج التي أسفرت عنها نظريّة النحو التحويلي لها بالغ الأثر على كلّ من علم النفس، والفلسفة على حد سواء، فقد اعترف معاصرو تشومسكي وتلامذته أنّه قد حقق نجاحات،لاسيّما وأنّه أدحض المذهب السلوكي.

ب-اعتراض ماثيوس:

حينما قدم تشو مسكي الحجج الدامغة أثناء تصدّيه لمناقشة الفجوة الموجودة بين اللغات الإنسانية، ونُظم الاتصال لدى الحيوان وعلاقة كلّ منهما بنظريّة التعلم؛ وذلك حين أشار لمبدأ الإبداعيّة، والذي يستطيع أن يفرّق بين لغة الإنسان ولغة الحيوان"[13].

وفي هذا الصدد كان لزاما التطرّق-ولو بإيجاز- إلى الحديث عن تلك المحاولات القديمة والحديثة لتعليم الشامبانزي اللغة المنطوقة، ولو أنّها لاقت فشلا ذريعا كان حليفها بدليل أنّ الحيوان لا يملك بدوره جهاز النطق كالذي يملكه الإنسان من خلال بعض التجارب الحديثة التي أجريت على نظم الاتصال والتواصل، والتي تتكئ على وسائل بصريّة يدويّة وليس على وسائل نطقيّة سمعيّة ممّا جعل تشو مسكي يقارب ويقارن بينهما، ويخلص أنّ مجرّد اكتساب البدايات الفجّة الأولى للّغة فوق طاقة أيّ فرد مهما أوتي من ذكاء [14].

ومن تمّ يطرح السؤال: هل تتمتع القردة حقّا بذكاء ما؟

هذا سؤال شغل حيّزا كبيرا من اهتمام الدّارسين والباحثين، حيث بدا جليّا للذين اقتفوا أثر هذه الأبحاث والتجارب التي أجريت على القردة لم تقدّم نتائج ملموسة، بل تركت معضلة اكتساب الحيوان للغة كما كانت عليه، ومع ذلك فقد قيل أنّ القردة إذا كانت لم توفق في اكتساب المبادئ اللّغويّة الأولى، فإنّ الأطفال في مراحلهم العمرية الأولى يصيبهم ذلك أيضا.

ولكن هذا الاعتراض ينطوي على مغالطة مضللّة ،لأنّ الأطفال بعد المرحلة الأولى -حسب علماء الاجتماع- يمضون قدما إلى مراحل أبعد من تلك التي تتوقف عندها القردة، والسبب راجع عند تشو مسكي إلى كون الأطفال ينطلقون من خلال قدرات إنسانية خاصة تفتقر إليها القردة؛ أي ما ينطق به الطفل الصغير لا يشبه تماما ما ينطق به صغار القردة هذا لأنّ اللّغة الإنسانيّة لها خصائص عامّة أهمّها:(الازدواجية،الإبداعية، والتركيب التابع، وأضف إلى ذلك خاصيّة الاعتباطية، والتمفصل)، هكذا لا توجد أدلّة تدعو للاعتقاد بوجود أيّ اختلافات في الملكة (القدرة اللغويّة) وهو يرجع سببه إلى الاختلاف العرقي ناهيك عن وجود اختلافات وراثية تؤثر على اكتساب اللغة، واستعمالها مما لا تستطيع قدراتنا الحالية اكتشافه باستثناء العيوب الخلقية نحو: الإصابة بمرض المنغوليين أي(Down) الذي يكون الطفل معرّضا له تمنعه من تحقيق نجاح كبير من النواحي الفكرية والذهنيّة ولكن باستطاعته رغم ذلك اكتساب لغة تشبه لغة الأطفال الأصحاء، وإن كان ذلك بصورة أبطأ وفي حدود ضيّقة .

خاتمة:

ومن خلال ما تم الوقوف عليه من الأطر الفكرية التي جاء بها تشومسكي، واعتمادها في بناء دراسته للغة خاصّة، وللعلوم الإنسانية والتكنولوجية بشكل عام، لابدّ من التركيز على أهمية الدور الذي أداه هذا المفكر والمثقف الكبير ليس فقط في حقل اللسانيات التوليدية التحويلية الحديثة بل كذلك مجال المعارف والعلوم البشرية عامة، صحيح أنّ الأبحاث المتتالية التي انطلقت من مفاهيمه وتصوّراته قد أدخلت على هذه الأخيرة بعض التغييرات التي قد تكون صغيرة أو كبيرة، ولكن أقلّ ما يمكن قوله هو أنّ تشومسكي كان الدعامة الأساسية لجانب كبير من الدراسات الدلالية والعرفانية وحتّى الفلسفة اللغوية، ليتمكن من الارتقاء بالدرس اللساني في كامل ميادينه نظريّا وتطبيقيّا.

قائمة المصادر والمراجع:

01-آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تشومسكي، ترجمة وتحقيق: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

02-التداولية والحجاج، مداخل ونصوص،صابر الحباشة ،صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية ، ط1 ، 2008 م.

03-صميم الفلسفة:جورج لايكوف، مارك جونسن، ترجمة: محمد أحمد خليل، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1999م.

04-اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، المغرب،1990م

05-نظرية تشو مسكي اللغوية، جون ليونز،تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة ،مصر،دط،1995 م

06-Ingram(eds.),New York Academic Press : Foundation of Sociolinguistics; Dell, Hymes (1972),

07- Aspects of theory of syntaxe, Chomsky, N , Cambridge, Mass MIT, Press(1965) .

Chomsky, the listener 30 may 1968 -08

الهوامش:

1-Chomsky, the listener 30 may 1968 page68.

2- يقصد به كتاب آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تشومسكي، ترجمة وتحقيق: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2009.ينظر: ص: 74-75

3- ينظر: اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، المغرب،1990م، ص:16-17

4–صميم الفلسفة:جورج لايكوف، مارك جونسن، ترجمة: محمد أحمد خليل، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1999م، ص:469-512

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- Aspects of theory of syntaxe, Chomsky, N , Cambridge, Mass MIT, Press(1965) p :03 .

7 -Voir: Foundation of Sociolinguistics; Dell, Hymes (1972), Ingram(eds.),New York Academic Press P:75 ،

8-التداولية والحجاج، مداخل ونصوص،صابر الحباشة ،صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية ، ط1 ، 2008 م، ص:132 .

9 - وهم علماء النفس السلوكيون :(مدرسة جنيف النفسية أنموذجا).

10-التداولية والحجاج ،مداخل ونصوص ، صابر الحباشة، ص:30 .

11-أحدث ضجّة عارمة واضحة في حقّ نعوم تشو مسكي حين ناقش نظرية الحالة النحويّة (the case grammar).

12- ينظر: نظرية تشو مسكي اللغوية، جون ليونز،تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة ،مصر،دط،1995 م،ص169.

13- ينظر:نظرية تشو مسكي ،جون ليونز، تر: حلمي خليل،ص:59.

14- اللغة ومشكلات المعرفة ،نعوم تشومسكي، تر: المزيني حمزة بن قبلان، ص:45 .